المسرح المدرسي في الجزائر: الأهمية والواقع

–مرحلة الابتدائي نموذجا-

Théâtre scolaire en algèrie: importance et réalité

Model de scène primaire –

المؤلف : حفيظة خالدي
الرتبة : طالبة دكتوراه
الجامعة :جامعة تيزي وزو
E-mail : khaldihafida@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2021 /07/08	تاريخ القبول: 2021/09/24	تاريخ النشر: 2021/11/02

الملخص:

لقد سعت هذه الورقة البحثية المتواضعة إلى لفت الانتباه إلى نوع من أنواع المسرح، وهو المسرح المدرسي، كونه من إفرازات النظرية الحديثة للتعلم، مركزين على الطور الابتدائي، نظرا لحساسية هذه المرحلة في تثقيف الطفل وبناء شخصيته ومن ثم حاولنا الإجابة عن بعض التساؤلات من قبيل: ما المقصود بالمسرح المدرسي؟ ما أهميته التعليمية؟ ما واقع الثقافة المسرحية المدرسية في الجزائر؟ وهل يلقى الاهتمام الموازي لأهميته؟

الكلمات المفاتيح: المسرح المدرسي؛ التعليم الابتدائي؛ الطفل.

Résumé :

Ce modeste travail de recherche a cherché à attirer l'attention sur un type de théâtre, qui est le théâtre scolaire, dans lequel les sorties de la théorie moderne de l'apprentissage, se concentrant sur la scène primaire en raison de la sensibilité de ce étape dans l'éducation de sa personnalité nous avons tenté de répondre à quelques questions telles que : Qu'entend-on par théâtre scolaire? Quelle est son importance? Quelle est la réalité de la culture théâtrale en Algérie? Reçoit-il la même attention à son importance?

Mots-clés : théâtre scolaire ; enseignement primaire ; l'enfant

مقدمة:

تمثل الطفولة الثروة الأساسية والحقيقية للأمة، فهي صانعة المستقبل؛ ذلك أن الطفل هو ذلك الكائن الصغير، والعجينة الهلامية الطيعة التي يسهل تشكيلها كما نشاء، ويسهل توجيهها أيما اتجاه، لذا يجب أن نهيء له الظروف المناسبة لنجعل منه رجل المستقبل القادر على تحدي الصعاب، وحمل أمانة الأجيال القادمة بوعي وكفاية وإخلاص، ولا يتأتى ذلك إلا بالاهتمام به_في مختلف المجالات، ونخص بالاهتمام الجانب الثقافي للطفل لأن "الطفل نشء غض يسهل بناؤه وتكوينه، وتشكيله، إذا ما أحسنت مداخل هذا البناء، وإذا ما دعمت وسائل هذه الإنشاءات، وإذا ما قويت دعائم هذه التربية، بالتشويق تارة، وبالاستثارة تارة أخرى وبالتشجيع تارة ثالثة..."[1].

إن وسائل الاهتمام بثقافة الطفل كثيرة ومتنوعة، والمسرح الذي يلقب "بأبي الفنون" واحد منها، إذ كان (المسرح) مدرسة من مدارس الحياة وحركتها وديمومتها، بل هو صورة من صورها والطفل هذا الكائن المسرحي يعيش طفولته الممسرحة، وكأنه بحركاته يؤدي ويمثل، إذ كان يفكر ويتمتع كالكبار، فهو لاقط للثقافة عن طريق التقليد والتقمص، يلتقط الصور والأشكال المرئية، وأهم شيء_في حياته هو اللعب. وسنركز_في مداخلتنا على نوع من أنواعه وهو المسرح المدرسي، مركزين على الطور الابتدائي، نظرا لحساسية هذه المرحلة، ولكونها أولى الوسائط التربوية الرسمية، وإدراكا منا لأهمية المسرح المدرسي، حاولنا الإجابة على بعض الأسئلة من قبيل: **ما المقصود بهذا النوع من المسرح، وما أهميته التعليمية؟ ما واقع الثقافة المسرحية المدرسية_في الجزائر؟ وهل يلقى الاهتمام الموازي لأهميته؟...** تلكم ما نحاول طرحه_في هذه الورقة البحثية المتواضعة.

المسرح المدرسي: المصطلح والخصائص:

تَعتبرُ المدرسة القديمة بطرقها وأساليبها التعليمية المعلم المصدر الأول للمعرفة والعامل الفعال الأساسي لعملية التعلم، مهملة بذلك دور المتعلم كليا، كما أكدت (المدرسة القديمة) من خلال المنهج والمقررات

الدراسية على تكثيف المعلومات النظرية وتوصيلها للمتعلم عن طريق الحفظ دون الاهتمام بالنظرية الحديثة للتعلم، التي تعتمد على الفهم والإدراك، فالنظرية الحديثة رفعت من قدر المعلم بأن جعلت منه موجها، ومشرفا ينظم عملية التعليم والتعلم في ضوء استخدام وظيفي للطرق والأساليب الحديثة التي تعتمد على المشاهدة والاستقراء والعمل، وتنمية الميول والاتجاهات. ويعد المسرح المدرسي ركيزة هامة من ركائز الأنشطة التربوية التي تسهم في نمو شخصية المتعلم فكريا وبدنيا وروحيا، وتؤدي إلى خلق الشخصية الواعية المتكاملة القادرة على ربط النظري بالواقع العملي الملموس، ومواجهة المواقف الحياتية بشجاعة وثبات.

هذا، وقد تعددت تعريفات المسرح المدرسي واختلفت، تبعا لتعدد واختلاف الباحثين فعرفه (أسعد عبد الرزاق) بأنه "شكل من أشكال المسرح الموجه إلى الطفل، حيث يتمثل في كونه نشاط مسرحي يتم في إطار البرامج الدراسية، وأسلوب تعليمي وتربوي في الوقت ذاته حيث يستفيد منه طلاب الصف من خلال متابعة العروض المسرحية، التي تحمل مواضيع تعالج أفكارا، أو تستعرض معارف ومعلومات مختلفة، إضافة إلى اكتساب المهارات الفنية والرصيد المعرفي للممارسين لهذا النشاط أيضا، حيث يحول المجردات إلى أشكال محسوسة ومفهومة في قالب فني، لهذا يكون وسيلة مناسبة في عرض المواد الدراسية بأسلوب مسرحي"[2]. وعرف من طرف آخرين أنه "نموذج أدبي فني يحدث تأثيرا تربويا في المتلقي، معتمدا على عدة عناصر أدبية منها: الحبكة الدرامية والشخصيات والحوار، والجو العام، والصراع، وتقنيات مساعدة منها: الأزياء، الإكسسوارات والإضاءة والمؤثرات الموسيقية، والديكور ومناظر المسرحية"[3] . أو هو "نشاط فني درامي، يعتمد التشخيص والتمثيل والتنشيط من أجل التعلم والاكتساب، والتفتح في الفصل الدراسي، وداخل أسوار المؤسسة التربوية أو التعليمية، من أجل تنمية كفايات المتعلمين والمتعلمات، والارتقاء بذوقهم الفني، وتنمية حسهم الجمالي، وتربيتهم على القيم الوطنية"[4].

يتضح من النصوص الاتفاق على أمور عديدة، كون المسرح المدرسي نوع من أنواع مسرح الطفل، ما يعني أنه نشاط فني درامي يحتوي على

العناصر عينها المتواجدة في المسرح كفن من: حبكة، وشخصيات، وحوار، وصراع، وتقنيات مساعدة... دون أن ننسى الفكرة المتوخى إظهارها من العرض، فهو يهدف إلى تقديم الأفكار والمواقف والأحداث التي يستفيد منها الطفل في مختلف مناحي الحياة، بالإضافة إلى إشارة النصوص إلى مكان ممارسة هذا النوع من المسرح، فهو يمارس في إطار المدرسة، ويستفيد منه تلاميذ الصف، من هنا نستطيع اعتبار المسرح المدرسي وسيلة تعليمية تعرض المواد الدراسية بأسلوب مسرحي، ولا يخفى على أحد أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعليم، ونشير في الأخير إلى مسألة تضمنتها التعريفات وهي مسألة التأثير التربوي الذي يحدثه المسرح المدرسي في المتلقي، وذلك بمساعدة العناصر الأدبية للمسرح – المشار إليها-

انطلاقا مما قيل يمكن أن نستنتج خصائص ومميزات المسرح المدرسي في النقاط التالية:

1- أنه يهدف إلى تربية وتعليم النشء، مما يجعله في العديد من المؤسسات التعليمية أحد أهم الأساليب البيداغوجية المنتهجة في مسار العملية الدراسية والتربوية.

2- يتم المسرح المدرسي داخل أسوار المدرسة، ويساعد الطفل على ربط النظري بالواقع العملي والتجربة وبالتالي، فهو "مرتبط بالمدرسة ومقرراتها ومناهجها، لذلك يعتبر المسرح المدرسي وسيلة تعليمية بالدرجة الأولى"[5].

3- المسرح المدرسي نوع من أنواع مسرح الطفل، يركز على زاوية التعليم والتربية "مسرح تربوي يعني الترويح والتسلية، ولكنه يهتم بالجانب التعليمي، كما أنه يهتم ببث القيم التربوية والمبادئ الكريمة، والميول الطيبة في نفوس الناشئة"[6].

4- المسرح المدرسي وسيلة تربوية، يتخذ من المسرح شكلا، ومن التربية وتعاليمها مضمونا من خلال استخدام تقنيات مسرحية بسيطة مثل: الديكور المعبر، والملابس الدالة على الشخصيات والإضاءة الجذابة دون مغالاة في هذه العناصر.

5- للمسرح المدرسي أنواع ثلاثة هي: المسرح التربوي، المسرح التعليمي، المسرح التلقائي تتداخل كلها وتعمل على بناء وتوجيه شخصية الطفل داخل المدرسة، وسنركز في هذا المقام على الجانب التعليمي.

أهمية المسرح المدرسي التعليمية:

يلعب المسرح دورا هاما في حياة الطفل، فهو الكائن المسرحي الذي يعيش طفولته الممسرحة، يحب التمثيل ويميل إليه باعتباره لونا من ألوان اللعب، الأمر الذي أثبته الباحثون وعلماء النفس؛ إذ بينوا أن التمثيل أحد ألوان اللعب الإيهامي للطفل حيث أن "الأطفال يعبرون عن الدوافع الطبيعية التي لا تتضح عادة إلا في مرحلة المراهقة أو بعدها باللعب خلال مرحلة الطفولة؛ ففي السنة الثالثة يلعبون بالدمى ويسلكون معها سلوكا شبيها بالسلوك الذي يبعث من حنان الوالدين"[7]. كما بينت الدراسات ذاتها أن موضوع اللعب التمثيلي، ولعب الأدوار عند الأطفال قضية بالغة الأهمية، ويمكن استثمارها كوسيط تعليمي مؤثر وجذاب، ليكون المسرح المدرسي بذلك وسيلة تعليمية يلعب دورا جوهريا في إثراء التعليم من خلال إضافة أبعاد ومؤثرات خاصة، وهو ما أثبتته الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية من أن الفرد يمكن أن يتذكر 10% مما قرأه، و20% مما سمعه، و30% مما شاهده، و50% مما شاهده وسمعه في نفس الوقت، و70% مما شاهده وقاله و90% مما شاهده أثناء أدائه لعمل معين.

انطلاقا مما قيل يتضح أن للمسرح المدرسي أهدافا كثيرة ومتنوعة، لعل من نافلة القول الإشارة إليها، مع التركيز على التعليمية منها، لأنه "ولئن كانت مسرحية المنهج مسرحية تعليمية من حيث وظيفتها، فهذا لا ينفي دورها الاجتماعي، بوصفه وسيلة لتحقيق دورها الإقناعي (التعليمي)، لأن قيمة التعليم لا يمكن أن تقاس قياسا كليا في حدود الحقائق المستظهرة، بل في حدود التأثير الذي تتركه في نمو الفرد الروحي والخلقي والعقلي، والاجتماعي، والجسمي"[8]. ويمكن إيجاز ذلك في النقاط التالية:

2- 1 الأهداف النفسية:

يتعلق الأمر في هذه الحالة، بالحياة النفسية للطفل، وكيف يكون المسرح سبيلا للاتزان النفسي لديه، من جهة أنه (المسرح) يعمل على

التنفيس لدى الطفل من خلال ما يعرض أمامه، بحيث يجد نفسه يفرغ كل طاقته بكل ما يرى، ويعبر عن عواطفه المكبوتة ورغباته التي يخفيها، وبالتالي يحصل للطفل –رغم صغر سنه– ما سماه (أرسطو) قديما بالتطهير، خاصة إذا كان موضوع القصة محزنا، بالإضافة إلى علاج الكثير من المشكلات النفسية التي توجد لدى الأطفال كالخجل والخوف، كما تفضي المشاركة الجماعية في التمثيل إلى القضاء على ما يسمى بالفجوة بين المتفوقين والمتأخرين في التحصيل الدراسي في الصف.

2-2- الأهداف الفنية والجمالية:

يساعد المسرح المدرسي على تنمية قدرات التذوق الفني في مجال المسرح، مما يؤدي إلى ترسيخ هذا الفن في وجدان الطفل؛ فكثرة الممارسات يؤدي إلى التكوين الفني والمسرحي للطفل "التمثيل فن يساعد في مجال التطور اللاحق للإبداع الفني للإنسان، حيث يكون قادرا على التجسيد الفني ذاته، وكمثال على ذلك (...) اهتمام المسرحيين العراقيين بالممارسات الفنية داخل المدرسة، وقد ظهرت مواهبهم وقدراتهم خلال الممارسات المسرحية داخل المدارس"[9]. من هنا يكون المسرح وسيلة من وسائل تنمية القدرات وتفجير المواهب.

3-2 - الأهداف التعليمية:

– المسرح من أكفأ الوسائل التعليمية في توضيح المعلومات للتلاميذ، وتثبيتها في أذهانهم وتأثيرا في سلوكهم، وذلك من خلال ما يتجسد أمام أعينهم، يقول (كمال الدين حسين):" تساعد مشاركة التلاميذ في هذه الخبرة على تعميق الفهم لها، والاستفادة منها، استنادا إلى المقولة الصينية: أنا أسمع فأنسى، أرى فأتذكر، أفعل فأفهم (...) ويتحول النشاط الدرامي (المسرحي) من مجرد نشاط يثير المتعة، إلى نشاط يساعد في العملية التعليمية، من خلال المشاركة الفعالة للتلاميذ"[10]. وهو الرأي الذي ذهب إليه الفرنسي (بوسوي) Boussuet– رغم موقفه الرافض للفن الدرامي– حيث يعلن في كتابه (خواطر وأفكار عن التمثيل) أنه "ليس من الجائز منع المسرحيات الموجهة إلى الأطفال والشباب أو أدائها ما دامت تسعف الأساتذة في عملهم

التربوي عندما يتخذونها تمارين تطبيقية وأنشطة فنية لتحسين أسلوب ناشئتهم وتنظيم عملهم الدراسي"[11].

- **سعة الخيال والقدرة على التفكير:** ذلك أن ما يعرف على الأطفال هو بلوغ التفكير المجرد غير أن الأمر سيتذلل إذا استعين بالمسرح، باعتباره يقدم الأشياء الملموسة والمحسوسة والتفكير بالصور الحسية المختلفة، مثال ذلك استيعاب الطفل للقصة، بحيث يجد صعوبة في استيعابها مجردة، لكن الأمر يختلف لو عرضت عليه مجسمة بالمناظر والصور، وعلاقة الطفل بالمؤثرات المسرحية تتناسب عكسيا مع عمره، أي كلما كان الطفل صغيرا، كلما كان تأثير ذلك المؤثرات في مخيلته أكثر[12]. ويرى محمد محسن الصاوي "أن الأطفال في هذه المرحلة يتقبلون القصص التي تشبع لديهم حب العدل وتطبيق القانون، كما تزداد حساسيتهم للنقد مما يجعلهم يقبلون على القصص التي يعاقب فيها المذنب ويثاب المحسن، كما يقوى اتصالهم بالرفاق في جماعات للعب تأكيدا لذاته"[13]. وبالتالي فالأطفال يميلون إلى القصص المجسدة على أرض الواقع، والمشاهدة بالعين، دون القصص المقروءة، وهو ما يوفره لهم المسرح المدرسي.

- **ترقية لغة الطفل:** فالمسرح يعلم الطفل أسس النطق الصحيح، والاستعمال الصوتي الصحيح للكلمة في الجملة، كما "يعودهم على استخدام اللغة العربية الفصحى، واكتساب قدرات جديدة في مجال الإلقاء الصحيح، وفهم المفردات الجديدة، والجمل المعبرة وممارستها، وتطوير قدراتهم على التكيف مع المواقف المختلفة، والتعبير عن مشاعرهم، وأحاسيسهم، وتنمية شخصياتهم"[14].

- يساهم المسرح على تحمل المسؤولية، وإنجاز أكبر قدر من الإنجازات "يساعد المسرح في الفصل الدراسي على توليد درجة كبيرة من البهجة والاستمتاع، والشعور غير العادي بالالتزام لدى الأطفال في جميع الأعمال، كما يساعد على خلق فرص حقيقية كثيرة لتحقيق قدر كبير من الإنجازات التعليمية الإيجابية والدائمة"[15].

على العموم فإن المسرح المدرسي ينمي مهارات الطلبة، ويكتشف قدراتهم المختلفة وإبداعاتهم، فهو طريقة سهلة لعرض المواد

الدراسية، وتعميق المعلومات والمعارف ورسمها في ذهن المتعلم، مما يقلل إمكانية نسيانها، الأمر الذي يكسب الموقف التعليمي طابع المتعة والتشويق، ما يعني تزويد الأطفال بدافعية قوية للتعلم والاكتشاف، وهو ما جعل الباحثين ينوهون بأهميتها في التعليم يقول (ماك ماستر Mc Master) "يمكن أن تكون الدراما طريقة في التعلم لا تقدر بثمن، فهي تربي الأطفال تربية متكاملة، وتوفر للأطفال الكثير من الحرية وهامشا من المرونة، حيث ينمو الأطفال ويتعلمون"[16].

الملاحظ غنى وكثرة الجوانب الإيجابية التي يقوم بها المسرح المدرسي في المرحلة الابتدائية؛ فهو يعمل على تحقيق جوانب المتعة الحسية، بل أكثر من ذلك يزيل بعض المعوقات النفسية، أو الاجتماعية الخاصة بالتلميذ، ويهذب سلوكه ويفجر الطاقات الزائدة في سلوكه الذي قد يتصف بشيء من العنف أو العدوانية، ويمتصها أيضا، كما قد يساهم بدوره في تنمية قدراته على الإدراك والملاحظة، ناهيك عن المتعة الفكرية المتمثلة في توصيل المعلومات الدراسية وتقديمها في قالب ممتع وشيق. ويمكن أن نلخص ذلك في قول (عبد المنعم جميل) يقول:"للتربية المسرحية دورا هاما في علاج بعض مشكلات الأطفال في هذه المرحلة كالخوف والانطواء، وعيوب الكلام (...) زيادة عما في التربية المسرحية من فوائد ثقافية باعتبار النشاط المسرحي نافذة على الفكر الماضي والحاضر، ووسيلة لاكتساب المعلومات الجديدة، ويشجع على البحث والاطلاع"[17].

مقومات ومراحل كتابة المسرحية التعليمية:

إن تركيزنا على المسرحيات التعليمية، أو ما يسمى بـ (مسرحة المناهج) من باب الحفاظ على الهدف المنشود من البحث، وهو إبراز الجانب التعليمي لهذا النوع من المسرح؛ وبالتالي فكتابة مسرحيات للأطفال وإعدادها، يتطلب من المؤلف أن يكون على إلمام كبير بطبيعة الجمهور الذي يعرض له العمل (الطفل)، ولذلك فإن إعداد المسرحيات لا بد أن يكون خاضعا لقواعد فنية وجمالية هذا من جهة، إضافة إلى مراعاة طبيعة الطفل الذي يشمل هذه المواضيع والخبرات، والقيم المطروحة في هذه الأعمال، تقول (زينب محمد عبد المنعم) "لا بد للعمل المسرحي من جمالية

خاصة (...) تشد الطفل إليه، ويأخذه بيده إلى عالم التسلية والفرح والبهجة، كي يدخل من خلال ذلك إلى المعرفة والمعلومة"[18]. ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

1-3 خصائص كاتب المسرحية التعليمية:

"يقال فاقد الشيء لا يعطيه" هي مقولة أردنا التمهيد بها لما سنناقشه في هذه الفكرة؛ وهي فكرة ما يجب أن يتمتع به كاتب المسرحية التعليمية من مهارات وقدرات، ليجمع بذلك بين مهام المعلم، ومهام الفنان، وهي مهمة أصعب من مهمة كاتب المسرحية العادية؛ فإذا كان هذا الأخير يتحدد هدفه الرئيس في كيفية التواصل من خلال فن التمثيل، فإن على كاتب المسرحية التعليمية أن يكون على وعي بالمادة التعليمية التي سينقلها، وكيف يمكن نقلها أو تقديمها من خلال المسرح، وبالتالي فهو يوازن ما بين الدراما والتعليم، محاولا إثارة التفكير الناقد داخل التلاميذ من خلال ما يعرضه من معلومات ومعارف، ولا يتسنى له ذلك إلا إذا كان "واسع الإطلاع، مثقفا، ملما باهتمامات التلاميذ وقضاياهم (تبعا للمراحل العمرية المختلفة)، قوي الملاحظة، ذا فكرة ثاقبة قادرة على تحليل الأمور، معايشا لجمهوره من التلاميذ، على احتكاك مستمر بهم وبمؤسساتهم التعليمية..."[19]. دون أن ننسى اطلاعه في مجال المسرح، إذ "لا بد على المعد لمثل هذه المواد أن يمتلك خبرة مسرحية، تمكنه من تحضير المقررات والمناهج والبرامج الدراسية في قالب مسرحي، ولعل الدليل على ذلك هو اهتمام العديد من البلدان العربية، خاصة مصر والعراق بتوفير أخصائي المسرح في مثل هذه النشاطات التعليمية، لكي يتم عرض مثل هذه العروض التعليمية، التي تقدم للطفل أو التلميذ (...) مثل تلك المعارف والقيم والخبرات العلمية"[20].

يظهر من خلال النص صعوبة كتابة هذا النوع من المسرح، فهو لا يقل أهمية عن مسرح الطفل الاحترافي، كما يظهر التأكيد على ضرورة ارتباط المسرحية التعليمية باحتياجات المعنيين وهم التلاميذ، وفي امتلاك كاتب المسرحية للصفات المذكورة ضمان لأن يحوز ما يقدمه على قبول التلاميذ، وأن يثرى مدى المعلومات والمادة الدراسية التي سيتلقونها في المدرسة، الأمر

الذي يحتم عليه الاستفادة من مختلف الدراسات والنظريات التربوية والاتجاهات التعليمية، وكل ما من شأنه أن يساعد على التنشئة التربوية والثقافية والعلمية للتلاميذ.

3-2- القواعد الفنية والجمالية للمسرحية التعليمية:

إن أول ما يحاول المشرف القيام به هو الإطلاع على المواضيع الدراسية المقررة، حتى يتسنى له اختيار الدرس المراد مسرحته، آخذا في الحسبان ما يتوفر عليه الموضوع من إمكانيات درامية، ليحاول فيما بعد تحديد الأفكار الرئيسية التي يحتويها الدرس، دون إغفال القيم والأبعاد المختلفة المستفادة من النص، وهذا بعد أن يتأكد المشرف من صحة المعلومات الواردة في النص –سيما التاريخية والدينية منها– بعد ذلك يستطيع المرور بسلام إلى التأليف المسرحي، والذي يجب أن يراعى فيه ما يلي:

3-2-1 اللغة: تقصد في هذه النقطة لغة الحوار، الذي يشترط أن يكون مناسبا للمسرحية ولشخصياتها: سنا وثقافة وأدبا، وما دام الأمر يتعلق بالأطفال (المرحلة الابتدائية) فيجب أن تكون اللغة تتماشى مع نموه اللغوي، فتكون بذلك سهلة، واضحة، والجمل قصيرة بعيدة عن التعقيد، لأن الطفل لا يملك رصيدا لغويا يمكنه من حل الشيفرات، الأمر الذي يسمح لهم بالفهم واستيعاب الفكرة التي يدور حولها النص المسرحي، والذي يساعد بدوره في زيادة القدرة المعرفية لدى الطفل، وإثراء معجمه اللغوي، أما عن نوع اللغة فيفضل أن تكون اللغة الفصحى الميسرة رغبة في غرس حب اللغة العربية في نفوس الناشئة، مع ضمان النطق السليم، خاصة مع ما تعانيه اللغة العربية من ضيم من طرف أبنائها، الأمر الذي أثبته (هادي نعمان الهيتي) بتأكيده على ضرورة أن تكون "اللغة أشد قربا من الطفل، ولأن الطفل يريد من الجملة نتيجة سريعة فالطفل لا يتحمل التريث، ويريد من تراكيبها أن تكون واضحة، لأنه لا يتحمل مشقة البحث عن الاستنتاج، ويفضل أن تسلم النتائج جاهزة في كثير من الأحيان، كما يعتمد الأسلوب في هذه المسرحيات على المثيرات والمنبهات التي تحقق الانسجام بين الكلمة والفكرة المعبرة"[21]. أما الحوار فيجب أن يكون مناسبا لفك الطفل وإدراكه، مع عدم الإسراف فيه

ذلك أن "الحوار الطويل يبدو أمام الأطفال أشبه ما يكون بالمواعظ والخطب، والمناقشات الباردة التي تلقى على مسامعهم دون أن يستطيعوا احتمالها، فتموت الحياة على المسرح"[22].

3-2-2 البناء الدرامي: فيجب أن يكون البناء الدرامي مناسبا لأعمار التلاميذ، ونقصد هنا بالبناء الدرامي (الحبكة) وهو روح العملية الدرامية، ونقصد به مسار الأحداث وتطورها ونموها وتعقدها تدريجيا إلى أن تصل ذروتها إلى الانفراج والحل، أو هو "عملية صياغة المقدمة المنطقية (الفكرة) في موقف أو حدث، أو فعل (موضوع) يتضمن صراعا بين إرادتين أو أكثر (الشخصيات) ويتصاعد هذا الفعل في تسلسل منطقي لأجزائه: (الحبكة) من خلال تفاعل أطراف الصراع، حتى يصل إلى ذروته، ويحسم لصالح أحد الأطراف..."[23]. وبالتالي فمن مميزات البناء الدرامي في المسرحيات المدرسية في المرحلة الابتدائية: وحدة الموضوع، ووحدة الإطارين: الزماني والمكاني، ووحدة الجو العام المسيطر على المسرحية، ما يعني ضرورة الابتعاد عن التعقيد وتشابك الأحداث بما يعلو على مستوى الأطفال، كما يلزم أن نراعي قدرة الأطفال على التتبع والتذكر، والفهم والاستيعاب، والربط بين الحوادث المختلفة.

3-2-3 الفكرة (الموضوع): إن جوهر أي عمل إبداعي بالضرورة، يجب أن يبنى على أساس فكرة واضحة، على أن الذي نقصده هنا هو المواضيع التعليمية، والتي يجب أن يكون اختيارها عن معرفة وفطنة، ودراسة دقيقة لطبيعة الجمهور من فئة الأطفال، ذلك أن طبيعة المواضيع التعليمية هي ما يجعل من عمل المسرح أسلوبا تعليميا، قادرا على أداء وظيفته التعليمية، وذلك من خلال ما يتخلله من خبرات ومعارف مفيدة للطفل المتلقي، سواء داخل الصف، أو خارجه، مع ضرورة أن تكون (المعارف والخبرات) في متناول الأطفال، وتناسب مراحلهم العمرية، الأمر الذي يؤكده (خير شواهين) يقول "أعضاء فريق المسرح في التعليم يقررون مضمون البرامج، والمشكلة التي سيعالجها هذا البرنامج، والفئة العمرية التي سيقدم لها، لذلك فإن عملية إعداد الموضوع يتطلب مراعاة الأهداف المرجوة منها، والمتمثلة في القيم التربوية، وإدراك المجال التعليمي والمؤثر

الدرامي"[24]. فيكون اختيار الموضوعات من المقومات الحاسمة والفعالة في المسرح التعليمي.

بعد أخذ المشرف كل ما تم الإشارة إليه بعين الاعتبار، يدخل مرحلة التطبيق، وهي مرحلة تحوي مجموعة خطوات لخصها كل من (لينا نبيل أبو مغلي) و(مصطفى قسيم هيلات) في ست (06) نقاط على النحو التالي:[25]

- **المقدمة:** وهي الخطوة الأولى، يحاول المعلم من خلالها تهيئة الأطفال للتعلم بهذا الشكل فيتكلم عن موضوع الدرس الممسرح، فيحاول جس نبض كل تلميذ ومقدرته، واختياره للدور الذي يؤديه، وقد يناقشهم في ذلك.

- **النشاط التهيئي:** يتم في هذه المرحلة تجهيز الأطفال للنشاط الدرامي، كأن يدربهم روحيا وجسديا، فالتمرين الجسدي الإحمائي يمكنهم من استعادة قدراتهم وتحقيق المرونة والليونة لأجسامهم، ويمكنهم من التركيز والهدوء معا، إضافة إلى تمرينهم على بعض متطلبات الشخصيات مثل: الصوت، السير، الإلقاء، الإيقاع... إلى غيرها من النشاطات الإحمائية اللازمة.

- **توزيع الأدوار:** يقوم المعلم بتوزيع الأدوار على الأطفال بشكل عادل، وكتابة دور كل طفل على بطاقة يطلب منه حفظها، مع ضمان منح فرصة التمثيل لكل التلاميذ، إن لم يكن في هذا العمل، ففي آخر، وسيلاحظ أن الأطفال الضعفاء تحصيليا سوف يبدعون بأداء أدوارهم مما يقلل الفجوة بالصف بين جميع التلاميذ، الأمر الذي يؤثر عليهم نفسيا -كما أشرنا-.

- **التمثيل:** يعتمد التلميذ في هذه المرحلة – بعد تهيئة مكان التمثيل بكل التقنيات المسرحية- على نفسه في تجسيد الشخصية، مع تقليل تدخل المعلم، ذلك أن المهم هو وصول الممثل من روح الشخصية، بأن يعيش الوضع، لا الوصول إلى حد الاحتراف.

- **التقييم:** بعد انتهاء العرض، يبدأ ما يسمى بالتقييم على صورة النقاش؛ وذلك بأن يسأل التلاميذ أسئلة لا يمكن الإجابة عليها بنعم أو لا، إنما هي أسئلة تساهم في تشعب تفكيره، وتجعله يرى الموضوع من أكثر من زاوية من قبيل: لو كنت مكان الشخصية الفلانية ماذا كنت تفعل؟ لماذا؟

هل تصرف فلان كان جيدا... وبهذا يتمكن من تحليل الموقف الدرامي وإدراك علاقاته، وتسليط الضوء على خفاياه، وتحديد إيجابياته ليأخذ بها، وتحديد سلبياته ليبتعد عنها.

- **إعادة التمثيل:** إن ما نحاول إعادة تمثيله هو تلك الاقتراحات المقدمة في التقييم، حتى يصلون إلى قناعة بذلك، ويعاد التمثيل عادة بممثلين جدد حتى يتم إشراك جميع طلبة الصف، إن كانت المجموعة أكثر عددا من عدد شخصيات المشهد الدرامي، وإذا لم يتوافر العدد الجديد الكافي؛ فعلى من اشتركوا سابقا القيام بأدوار أخرى.

4- مسرحية "أبناء الجملة الإسمية" والجوانب التعليمية :

تتناول المسرحية مادتها من النحو العربي، وهو من المواد التي يستشعر فيها التلاميذ نوعا من الصعوبة والجفاف، كتبها الشاعر (أحمد شلبي)، وتتكون من مشهد واحد نرى فيه تلميذين يلبس كل واحد منهما وشاحا، أحدهما مكتوب عليه (مبتدأ) وعلى رأسه تاج مكتوب عليه (مرفوع)، والآخر كتب على وشاحه (خبر) وعلى تاجه (مرفوع) ويجلس كل واحد منهما على كرسي بكبرياء شديد ثم يقفان ويدور كل واحد منهما حول الآخر، ويجري بينهما هذا الحوار:

الخبر: ما اسمك؟

المبتدأ: اسمي مبتدأ

الخبر: (ضاحكا) تقول مبتدأ... اسمك مبتدأ!

المبتدأ: لماذا تضحك؟ نعم اسمي مبتدأ، وأنت... ما اسمك؟

الخبر: (باعتزاز) اسمي خبر.

المبتدأ: (ضاحكا) تقول خبر... يا خبر...!

الخبر: نعم خبر... ما شأنك بذلك؟

المبتدأ: إني أراك مغرورا كثيرا!

الخبر: وأنا أيضا أراك مغرورا كثيرا!

المبتدأ: أنا مغرور على حق... فأنا مرفوع دائما!

الخبر: وأنا أيضا مرفوع دائما...

المبتدأ: أيها المغرور، إني أستطيع أن آتي بمن يغيرك من الرفع إلى النصب؟!

الخبر: (ساخرا) زمن ذا الذي يستطيع أن يغيرني من الرفع إلى النصب؟!

المبتدأ: يا خبر... تعقل... وإلا أتيت لك بمن ينصبك...

الخبر: ومن هذا؟ قل...أنا لا أخاف أحدا...

المبتدأ: إذن انتظر... سآتي لك بإحدى صديقاتي...

والصديقة التي يعنيها المبتدأ هي (كان) التي تنصب الخبر، وينادي عليها المبتدأ فتدخل مجسدة في شخصية احدى التلميذات، ويدور حوار طريف تشارك فيه (إن) التي تتوعد (المبتدأ) بالنصب،ويستمر الحوار على هذا النحو:

كان: يا مبتدأ... ياعزيزي يا مبتدأ!

المبتدأ: أنا هنا يا كان... أنا هنا منصوب ياعزيزتي... لقد نصبتني إن!

كان: (تتجه إلى إن) ماذا جاء بك إلى هنا يا (إن)؟

إن: جئت أنصب المبتدأ.

كان: وأنا أريد أن أنصب الخبر...

إن: إذن... ما العمل؟

كان: فعلا... ما العمل إذن... نحن لا يجب أن نجتمع معا...

إن: إذن فالتنصبي أنت الخبر مرة... وأنصب أنا المبتدأ مرة...

كان: وهو كذلك... (تتصافح كان وإن...)

المبتدأ للخبر: انظر يا خبر... إنهما تتفقان علينا...

الخبر: حقا يا صاحبي... ما العمل إذن؟

المبتدأ: نحن ياصاحبي ركنان لجملة واحدة.

الخبر: نعم نعم... الجملة الاسمية.

المبتدأ: وأنا بدونك لا أعني شيئا.

الخبر: وأنا كذلك... بدونك لا أعني شيئا.

المبتدأ: فالنتحد يا صديقي.

الخبر: فالنتحد يا صديقي.

(تتجه إليهما كان وإن)

كان وإن يا صديقينا... لا تختلفا معنا، فنحن أيضا

معا: نعطيكما معنى جديدا... نحن جميعا أبناء جملة واحدة ...

هي الجملة الاسمية (ممسكين بأيدي بعضهم البعض).

الجميع: نعم... نعم... فالنتحد... فالنتحد.

يظهر جليا أن المسرحية تعليمية، مادتها من موضوع النحو العربي، وهو من المواضيع التي يجمع المتعلمون -على اختلاف مستوياتهم- على صعوبتها، وهذا عائد إلى جفافها، لهذا سعت المسرحية إلى تقديم درس من دروسه، فكانت بعنوان: (أبناء الجملة الاسمية)، للإشارة إلى اللحمة التي تجمع عناصرها، ليستحيل من خلالها الاستغناء عن عنصر من عناصرها رغم الاختلاف الموجود بينهم (علامات الإعراب) وهو ما يماثل حالة الأم التي تجمع أبناءها رغم اختلاف طباعهم وشخصياتهم، ومن ثم شخصت المسرحية الجوامد من: مبتدأ، وخبر، والفعلين الماضيين الناقصين (كان، إن) في صورة أشخاص من البشر: يتكلمون، ويتحركون ويتشاجرون، ويتصالحون، تقريبا وتسهيلا للمعلومة على تلاميذ المرحلة الابتدائية (السنة الرابعة) المعنيين بالخطاب. وهي فكرة عرضت بلغة بسيطة تتماشى مع المرحلة المقصودة، في حين كان الحوار مناسبا لا طول فيه، أدارته أربع شخصيات رئيسة، واحتوى على حدث واحد بين من خلاله عناصر الجملة الاسمية الرئيسية من: مبتدأ وخبر، وكيف تتغير حالات إعرابهما بدخول النواسخ.

واقع المسرح المدرسي في الجزائر:

نظرا للأهمية التي يحظى بها المسرح المدرسي في حياة الطفل، وفي مختلف المجالات: النفسية، والاجتماعية والفكرية، والفنية، والتعليمية، فقد حظي بالاهتمام والاعتناء بالدول الأجنبية مثل بريطانيا، واستراليا... وهكذا، وعلى سبيل المثال لا الحصر:" أن أصبح التمثيل واحدا من أهم الوسائل التعليمية، ففي المدارس الابتدائية الإنجليزية نجد أن كثيرا من الكتب المقررة على الصفوف الأولى قد أعيدت صياغتها، بحيث أصبح التمثيل هو أسلوب تقديمها للطالب فأصبحت أسماء الكتب: "مثِّل واقرأ"، "الحساب بالتمثيل

والعلوم" وهكذا"[26]. ولقي ما يماثله في الدول العربية مثل سوريا ومصر والعراق مع ما يكتنف ذلك من نقائص، غير أن هذا النشاط يعاني في الجزائر قصورا شديدا، ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلي:

- عدم وجود فضاء داخل المدرسة لممارسة مثل هذا النوع من النشاط ،

- عدم وجود تمويل مالي لإنجاز العمل المسرحي ،

- لا تساهم الجمعيات الثقافية في تكوين فرق مدرسية، لأن هذا ليس من صلاحيتها خاصة مع انعدام الإمكانات اللازمة، حيث أصبحت هذه الجمعيات تجد صعوبة كبيرة في إنجاز مسرحية،

- كثافة البرامج المدرسية، والتي لا تسمح بممارسة هذا النشاط، خاصة إذا كانت المدرسة تطبق نظام الدوامين،

- تهميش الجانب الثقافي بالوسط الدراسي بصفة عامة، والمسرح بصفة خاصة،

- طبيعة الوعي والعقلية السائدة التي لا زالت بعيدة عن القناعة بأن للمسرح دور مهم في العملية التعليمية، وفي الحياة ككل، معتبرين إياه معطلا للدراسة، وبالتالي يجب أن يقتنع به المربي، ومدير المؤسسة التربوية،

- ندرة النصوص المسرحية للمسرح المدرسي، والقصور في إعداد متخصصي المسرح المدرسي يستطيعون مسرحة المناهج ،

6- أهم المقترحات والتوصيات:

- إحياء المسرح داخل المدرسة،

- التركيز على التكوين لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فالمتعلم المتكون في المجال المسرحي هو الأجدر بأن ينشط نواد المسرح بالمدارس الابتدائية، لأنه يعرف خبايا الطفل ومتمكن من الطرق البيداغوجية والبرامج المدرسية،

- تمكين المعلم من ساعات للتفرغ لممارسة هذا النشاط، حتى لا يكون عبئا إضافيا عليه

- إدراج المسرح كمادة في البرامج الرسمية،

– تنمية الوعي المسرحي، وذلك بالعمل على إيجاد عقلية مغرمة بالتنشيط الثقافي عموما مؤمنة بجدواه في العملية التربوية، لأن الاستراتيجية هي العقلية قبل كل شيء،

– إعداد دليل يستخدمه المدرسون والمشرفون على نوادي الأطفال التي تستخدم هذا المسرح لكي يوضح لهم كيفية مسرحة مختلف المناهج الدراسية، وكيفية تقديمها داخل غرفة الدراسة وبواسطة المدرسين أنفسهم، بل والتلاميذ أنفسهم، ويتضمن الدليل نماذج لموضوعات ممسرحة فعلا،

– العمل على بعث نوادي مسرحية نموذجية يشرف عليها المعلم وينشطها، ويكون في نفس الوقت النواة المكونة لبقية المعلمين في جهته لتوظيف المسرح في مختلف المواد التعليمية فيكون سندا للتعلمات،

– سعي الوزارة لإنشاء دور للعرض المسرحي، أو تصميم خشبة مسرح سهلة الفك والتركيب يمكن الاستفادة منها في أية قاعة في المدرسة أو الفناء، مع تجهيزها بمعدات إضاءة ومؤثرات صوتية مناسبة،

– تحفيز الأطفال على المشاركة حفاظا على المعادلة القائلة بأن المسرح : كلمة وممثل وجمهور،

على سبيل الخاتمة:

لقد بدا لنا من خلال الوريقات أهمية أعظم مكتشفات القرن العشرين وهو المسرح التعليمي، وقيمته التعليمية الكبيرة؛ فهو أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع إلى السلوك الطيب اهتدت إليه عبقرية الإنسان، وتجدر الإشارة إلى ضرورة توجيه المدارس إليه، باعتباره جزءا متمما للمنهاج، ينبغي أن تطبقه كافة المدارس بلا استثناء، سواء أكان في هذه المدارس مسرحا أم لا، فإن لم يكن هناك مسرح فإن إعداد مسرح داخلي في كل مدرسة أمر ميسر وسهل تماشيا مع إمكانيات كل مدرسة، ذلك أن أخذ القليل خير من ترك الجميع، بالإضافة إلى ضرورة التشجيع على كتابة النصوص المسرحية والإفادة منها، وأن يتم التعاون بين جميع المدارس في هذا الحقل التربوي الهادف، ضمانا للنفع الكبير الذي يحصل عليه التلميذ؛ فبالإضافة إلى الهدف العام وهو تقريب المادة العلمية وفهمها، ينمو رصيد التلميذ اللغوي ويتواصل بلغة عربية صحيحة وبطلاقة، ولعل هذا أكبر ضيم رميت به لغة القرآن من

طرف أبنائها، كما يساهم المسرح في الترويح عن نفس التلميذ وإبعاد الملل الناجم عن ضغط الدروس.

هذا، ونشدد على الجانب التعليمي للمسرح المدرسي، وهو ما اصطلح على تسميته بالمسرح التعليمي الذي نحتاج إليه بشدة، ولو في فصل دراسي، ولو في فناء المدرسة، فعامل المكان والإمكانيات لا يجب أن يكون عائقا أمام انطلاق أطفالنا، وإبراز طاقاتهم، وغرس القيم الجميلة في نفوسهم، وإبراز مواهبهم، وتقمصهم للشخصيات التي يحبونها، وهذا ما قصدناه – أعلاه– ب" ضرورة إيجاد عقلية مغرمة بالتنشيط الثقافي"، اقتداء بالدول المتقدمة التي أيقنت خطورة وأهمية الأثر الذي يؤديه المسرح في تكوين شخصية الطفل وتربيته، فنظرت إليه على أنه من أهم وسائل تربية النشء.

الهوامش والإحالات:

1- اسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، (د، ت)، ص 31.
2- ينظر: أسعد عبد الرزاق، عزني كرومي، طرق تدريس التمثيل، دلر الكتب للطباعة والنشر، العراق، 1980، ص 56.
3- لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيات، إشراف: م. أوزنتال، ب، يودين، تر: سمير كرم، دار الطباعة والنشر بيروت، ص 439.
4- دليل المسرح المدرسي والحكاية التربوية، المملكة المغربية، 2009، ص 1.
5- أحمد وصل شلول، أدب الأطفال في الوطن العربي -قضايا وآراء- ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، 2000، ص 69.
6- محمد اسماعيل الجاويش، الأساس في الأنشطة التربوية، ط1، حورس الدولية للنشر، الاسكندرية، 2007، ص 46.
7- أبو الحسن سلام، مقدمة في نظرية مسرح الطفل، مركز الأبحاث العلمية، الاسكندرية، 1989، ص 70.
8- أبو الحسن سلام، مسرح الطفل- النظرية، مصدر الثقافة، فنون العرض- ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر الاسكندرية، (د،ت)، ص 20.
9- جمال محمد النواصرة، أضواء على المسرح المدرسي ودراما الطفل، ط2، دار الحامد، عمان، 2009، ص 50.
10- كمال الدين حسين، المسرح التعليمي -المصطلح والتطبيق- ط1، الدار المصرية اللبنانية، 2005، ص 38.
11- حسني عبد المنعم محمد، المسرح التعليمي ودوره التربوي، ط1، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008 ص 46.
12- ينظر: حسني عبد المنعم محمد، م، ن، ص 51.
13- محمد محسن الصاوي، محاضرات الموسم الثقافي 1884، لمعهد المعلمين بالكويت، ط1، 1986، ص 101.

15- كما الدين حسين، م، ن، ص 77.
16- لينا نبيل أبو مغلي، مصطفى قسيم هيلات، الدراما والمسرح في التعليم – النظرية والتطبيق- ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 66.

17- عبد المنعم جميل، المسرح المدرسي ومكانته في التربية، ضمن كتاب: الفنون التعبيرية، تقديم: عبد العزيز الربيع نادي المدينة المنورة الأدبي (د، ت)، ص 56.
18- زينب محمد عبد المنعم، مسرح ودراما الطفل، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2007، ص 139.
19- كمال الدين حسين، م، ن، ص 134.
20- فيصل المقدادي، المسرح المدرسي، ط1، دار الخليل للطباعة والنشر، سوريا، 1974، ص 76.
21- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال – فلسفته، فنونه، وبساطته- الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1986، ص 98- 99.
22- فوزي عيسى، أدب الأطفال – الشعر، مسرح الطفل، القصة، الأناشيد- دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2008، ص 90.
23- كمال الدين حسين، م، ن، ص 123.
24- خير شواهين وآخرون، المسرح المدرسي في العلوم ومهارات التفكير، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009، ص 17.
25- ينظر: م، ن، ص، 82-83.
26- كمال الدين حسين، م، ن، ص 78.